فصل الخطاب فى قضية السحر

على ضوء الكتاب والسنة

د. عبد المنعم محمد فرح رباح
الاستاذ المساعد فى التفسير وعلوم القرآن
بكليه أصول الدين والدعوة بشبين الكوم

مقدمـــة :

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين . سيدنا محمد النبى الأمين . وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد . . .

إن من نعمة الله علينا نحن — المسلمين — أن جعل لنا الإسلام دين حقائق لا دين خرافات وأباطيل . وقد علمنا الحب والتآخى والتآلف وكل المشاعر الطيبة التى تنبع من الإيمان الذى حببه إلينا الله وزينه فى قلوبنا . وقد بغض الله إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، وكل ما يؤدى إلى هذه الخصال المرذولة ، ومما يؤدى إلى الوقوع فيها السحر ، وقد بغضه الله إلينا ونفرنا منه ، ولكن فريقاً من الناس الذين حجب الله عنهم نور الإيمان لا يقيمون للدين وزنا وهدفهم إيذاء الناس والإضرار بهم وسلوك كل وسيلة تحقق لهم ذلك وكأنهم لم يسمعوا الأثر الكريم [لا ضرر ولا ضرار] وهؤلاء هم السحرة الأشرار الذين يفرقون بين المرء وزوجه ، وينشرون بكيدهم الفزع والخوف فيمن يترددون عليهم ، وسلاحهم فى ذلك المكر والدهاء وهدفهم التغرير بالبسطاء ، يجتذبون إليهم النساء والرجال ، ويبتزون منهم الأموال .

ومن العجيب أن ينتشر مثل هؤلاء السحرة والدجالون فى وطننا الإسلامى، وأن يكون لهم نشاط غامض فى مدنه وقراه ، وهذه ظاهرة مؤسفة تدور فى خفاء وتسكم بأساليب غامضة ، ومعالجات مثيرة ، ومازال العالم الإسلامى يتعرض لموجات متلاحقة من الغزو الفكرى ، يتراءى لنا بعضها فى تلك الوثنيات الجديدة ، والشعوذات القديمة واستغلال حسن ظن الناس وفطرتهم البريئة ، ودور علماء الإسلام هام وضرورى فى غرس العقيدة الطاهرة السليمة ، وهى عقيدة الإسلام البعيدة عن الخرافات والشعوذات فى نفوس الناس .

وقد اخترت أن يكون موضوع هذا البحث قضية السحر ، فى ضوء الكتاب والسنة آملا أن أستطيع بتوفيق الله تعالى أن أعرض آراء علماء الإسلام فى كل ما يتعلق بموضوع السحر من مسائل ، وأن أرجح منهـا مايستحق الترجيح . وأسأل الله التوفيق فى بلوغ هذا الهدف فهو نعم المولى ونعم النصير ،

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

دكتور

عبد المنعم ممدوح رماح

السحر في اللغة : السحر مصدر سحر يسحر سحراً . ولا يوجد مصدر لفعل يفعل على وزن فعل إلا هذا(١) فهو مصدر شاذ .

وقال الأزهري : وأصل السحر صرف الشيء عن غير حقيقته إلى غيره، فكأن الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق خيل الشيء على حقيقته(٢). وقد سحر الشيء عن وجهه ، أي صرفه .

قال الجوهري : كل مالطف ودق فهو سحر يقال : سحره أبدى له أمراً يدق عليه ويخفى ، ويقال سحره — خدعة(٣) .

ومنه قول امرىء القيس :

أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب
عصافير وذبان ودود وأجرأ من مجلحة الذئاب

أي نغذى ونخدع(٤) .

وقال الجوهري أيضاً : والسحر الأخذة وكل مالطف مأخذه ودق فهو سحر وسحره بمعنى خدعه .

وقال القرطبي : السحر : قيل أصله التمويه بالحيل والتخاييل وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعاني فيخيل للمسحور أنها بخلاف ما هي به .

كالذي يرى السراب من بعيد فيخيل إليـــه أنه ماء . وكراكب

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان جـ ١ ص ٣١٩

(٢) لسان العرب لابن منظور جـ ٢ ص ١٩٥٢

(٣) البحر المحيط جـ ١ ص ٣١٩

(٤) لسان العرب جـ ٢ ص ١٩٥٢

السفينة السائرة سيراً حقيقياً يخيل إليه أن ما يرى من الأشجار والجبال سائرة معه .

وقيل : هو مشتق من سحرت الصبي إذا خدعته وكذلك إذا عللته ، والتسحير مثله .

قال لبيد :

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر (١)

وقال الألوسي : السحر في الأصل مصدر : سحر ، يسحر ، بفتح العين فيهما إذا أبدى ما يدق ويخفى وهو من المصادر الشاذة ، ويستعمل فيهما إذا لطف وخفى سببه والمراد به أمر غريب يشبه الخارق .

وفي الحديث : « إن من البيان لسحرا » .

فسمى النبي ﷺ بعض البيان سحرا لأن صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته لحسن بيانه وبليغ عباراته (٢) .

وتسمية البيان الرائع سحرا هو من قبيل المجاز لا الحقيقة . فالخطيب يستميل القلوب بحسن بيانه وروعة إدائه وجمال تعبيره كما يستميل الساحر قلوب الحاضرين إليه بخفته ورشاقته وتمويهه على الحاضرين ، ولذلك سمى البيان سحراً .

والسحر أيضا هي الرئة وسميت بذلك لخفائها ولطف مجاريها . ومنه حديث السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : « توفى رسول الله ﷺ بين سحرى ونحرى . أي مات رسول الله ﷺ وهو مستند إلى صدرها .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ١ ص ٤٣٤

(٢) تفسير الألوسي جـ ٢ ص ٢٣٨

وإذا أطلق لفظ السحر أفاد ذم فاعله ، قال تعالى : « سحروا أعين الناس» وقال تعالى « يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى» . يعنى موهوا عليهم حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى . وقد يستعمل مقيداً فى ما يمدح ويحمد .

تعريفه شرعا : لفظ السحر فى الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته .

وهو قول أو فعل يترتب عليه أمر خارق للعاده ويعتمدعلى وسائل من الرق والعزائم وما أشبهها .

أنواع السحر : بين الفخر الرازى أنواع السحر ونحن نذكرها بإيجاز فنقول :

الأول : سحر الكلدانيين والكسدانيين .

وهم الذين كانوا يعبدون الكواكب السيارة ، ويعتقدون أنها المدبرة للعالم .

وهم الذين بعث إليهم الخليل إبراهيم عليه السلام مبطلا لمقالتهم ورادا لمذهبهم .

الثانى : سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية ، وقد أستدل على أن للوهم تأثير فى الإنسان بأنه قد يسير شخص على جسر موضوع على الأرض ولا يستطيع السير عليه إذا كان موضوعا على نهر مثلا .

ومن المعلوم أن بعض النفوس بها من القوة ما تستطيع بها التأثير فى غيرها .

الثالث : الاستعانة بالجن . والسحرة يتصلون بالجن عن طريق عزائم

ورق وغالبا ما يكون فيها من الألفاظ الكفرية والأعمال المنافية للإسلام، وهم يسترون ذلك بأعمال من الدخن والتخمير وغير ذلك .

الرابع : التخيل والخداع : وذلك كما يفعله بعض المشعوذين حيث يريك أنه ذبح عصفورا ثم يركبه بعد ذبحه وقد طار وذلك لخفة حركته ، والمذبوح فى الحقيقة غير الذى طار لأنه يكون معه أثنان قد خبأ أحدهما وهو المذبوح وأظهر الآخر .

وقيل : أن سحر سحرة فرعون كان من هذا النوع .

قالوا : كانت عصيهم وحبالهم المصنوعة من جلد مجوفة، حشوها زئبقا وحفروا تحت الموضع أسرابا ملئوها نار فلما طرحت عليها الحبال والعصى وحمى الزئبق تحركت لأن من شأن الزئبق التمدد بالحرارة ، فخيل للناس، أن هذه الحبال والعصى حيات تتحرك وتسير .

الخامس : الكهانة والعرافة بطريق التواطؤ : وذلك كما يفعله العرافون والكهان حيث يوكلون أناسا بالإطلاع على أسرار الناس حتى إذا جاء أصحابها أخبروهم بها ويزعمون أنها من حديث الجن لهم .

السادس : السعى بالنميمة والوشاية بها : وهى بلاغات وإفساد وتضريب، من وجوه خفية لطيفة وذلك عام شائع فى كثير من الناس .

وقد حكى أن إمرأة أرادت إفساد ما بين زوجين فصارت إلى الزوجة فقالت لها أن زوجك معرض عنك وقد سحر وهو مأخوذ عنك وسأسحره لك حتى لا يريد غيرك ولا ينظر إلى سواك ولكن لابد أن تأخذى من شعر حلقه بالموس ثلاث شعرات إذا نام وتعطينيها فإن الأمر يتم بها ، فاغترت المرأة بقولها وصدقتها ثم ذهبت إلى الرجل وقالت له أن إمرأتك قد علقت رجلا وقد عزمت على قتلك وقد وقفت على ذلك من

أمرها فاشفقت عليك ولزمني نصحك فتيقظ فإنها عزمت على ذبحك بالموس فما فى أمرها شك : فتناوم الرجل فى بيته ، فلما ظنت امرأته أنه نام عمدت إلى موس حاد وهوت به لتحلق من حلقه ثلاث شعرات ففتح الرجل عينه فرآها وقد أهوت بالموس إلى حلقه فلم يشك فى أنها أرادت قتله فقام فقتلها ، فبلغ الخبر إلى أهلها فجاؤا فقتلوه .

وهكذا كان الفساد بسبب الوشاية والنميمة

السابع : الأدوية وخواص الأطعمة : فبعض الأدوية لها خصائص معينة على جسم الإنسان وعقله وتؤثر فى فكره فإذا تناولها شخص تصرف تصرفا غير سليم فيقول الناس : به مس أو أنه مسحور .

الثامن : تعلق القلب بشخص معين : فقد يتعلق شخص ما بإنسان يطيعه طاعة عمياء حتى كأنه سحره .

وهذا النوع قد يرجع إلى نوع أصحاب النفوس الضعيفة وتأثير النفوس القوية عليها .

هل للسحر حقيقة وتأثير

هذه مسألة اختلف فيها العلماء . فذهب جمهور العلماء من أهل السنة إلى أن السحر له حقيقة وتأثير .

وذهب المعتزلة وبعض أهل السنة إلى أن السحر ليس له حقيقة فى الواقع ، إنما هو خداع وتمويه وتضليل وأنه من باب الشعوذة وقد أستدل الجمهور على ما ذهبوا إليه بأدلة منها :

١ — قول الله تعالى «سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم» . فقد دلت الآية على إثبات حقيقة السحر .

٢ — قوله تعالى «فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه» . فقد أثبتت الآية أن للسحر حقيقة وتأثير حيث أمكن للسحرة أن يفرقوا بين المرء وزوجه بواسطته .

٣ — قوله تعالى «وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله» . فقد أثبتت هذه الآية الضرر للسحر ولكنه متعلق بمشيئة الله تعالى .

٤ — قوله تعالى «ومن شر النفاثات فى العقد» . فقد دلت الآية على أن للسحر أثر حتى أمرنا أن نتعوذ بالله من شر السحرة الذين ينفثون فى العقد .

٥ — وأستدلوا بما جاء فى الحديث الشريف أن يهوديا سحر النبي ﷺ وهو حديث مروى فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها . ونص الحديث الشريف كما رواه البخارى فى صحيحه :

«عن عائشة رضى الله عنها قالت : سحر رسول الله ﷺ رجل من

بنى زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله ، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا ثم قال : يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيه فيه ؟

أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ، فقال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل ؟ فقال مطبوب ، قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم قال في أي شيء ؟ قال : في مشط ومشاطه وجف طلع نخلة ذكر قال وأين هو ؟ قال في بئر ذروان فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه لجاء فقال : يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين ، قلت : يارسول الله أفلا استخرجته ؟ قال : قد عافاني الله فكرهت أن أثير على الناس فيه شراً فأمر بها فدفنت »(١) .

واستدلوا على أن للسحر حقيقة وتأثير بدليل عقلي وهو أن العقل لا ينكر أن الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو مزج بين قوتين على تركيب مخصوص ونظير ذلك ما يقع من حذاق الأطباء من مـــزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفرده فيصير بالتركيب نافعاً .

ومما روى أن بن عمر رضى الله عنهما ذهب إلى خيبر ليخرص ثمرها فسحره اليهود فانكتفت يده فأجلاهم عمر .

وجاءت إمرأة إلى عائشة رضى الله عنها فقالت : يا أم المؤمنين ما على المرأة إذا عقلت بعيرها ؟ فقالت عائشة ولم تفهم مرادها ليس عليها شيء ،

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج (٢١) ص ٥٣٦ — ٣٧٣ طبعة الكليات الأزهرية .

فقالت إنى عقلت زوجى عن النساء فقالت عائشة رضى الله عنها أخرجوا هذه الساحرة(١) .

فإن قيل كيف أثر السحر فيه ﷺ مع أن الله تعالى قال له والله يعصمك من الناس أجيب على ذلك بأنه إنما أثر السحر فى رسول الله ﷺ مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس إما لأن المراد منه عصمة القلب والإيمان دون عصمة الجسد عما يرد عليه من الحوادث الدنيويه ، ومن ثم سحر وشج وجهه و كسرت رباعيته ورمى عليه الكرش والتراب وأذاه جماعة من قريش وإما لأن المراد عصمة النفس من الإفتـــلات دون العوارض لأنه ﷺ كان يحرس فلما نزلت الآية أمر بترك الحرس .

هذا وقد اختلف القائلون بأن للسحر حقيقة وتأثير فى كيفية تأثير السحر ، فذهب بعضهم إلى أن تأثير السحر لا يتعدى تغير المزاج فيكون نوعاً من الأمراض .

وذهب بعضهم إلى أنه يستطاع بالسحر قلب الأعيان بحيث تنتهى إلى الإحالة بحيث يصير الجماد حيواناً مثلا أو عكسه ، والذى عليه الجمهور هو الأول ، وذهبت طائفة قليلة إلى الثانى فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية فسلم وإن كان بالنظر إلى العقل فهو محل الخلاف فإن كثيراً من يدعى ذلك لا يستطيع إقامة البرهان عليه .

وقيل أن تأثير السحر لا يزيد على ما ذكر الله تعالى فى قوله « يفرقون به بين المرء وزوجه » لكون المقام مقام تهويل فلو جاز أن يقع أكثر من ذلك لذكر .

---

(١) كتاب الزواجر ص ٥٠٠

قال المازرى والصحيح من جهة العقل أنه يجوز أن يقع أكثر من ذلك وقال والآية ليست نصاً فى منع الزيادة ولو قلنا أنها ظاهرة فى ذلك(١) .

أما أدلة المعتزلة على ما ذهبوا إليه فيمكن تلخيصها فيما يأتى :

١ — استدلوا بقول الله تعالى « سحروا أعين الناس واسترهبوهم » فهذه الآية الكريمة تدل على أن السحر إنما كان للأعين فحسب .

٢ — واستدلوا بقوله تعالى « يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى » . فهذه الآية تؤكد أن السحر كان تخيلا لا حقيقة له .

٣ — واستدلوا بقوله تعالى « ولا يفلح الساحر حيث أتى » . فهذه الآية تثبت أن الساحر لا يمكن أن يكون على حق لنفى الفلاح عنه .

٤ — ومما استدلوا به أيضاً المعقول فقالوا : لو قدر الساحر أن يمشى على الماء أو يطير فى الهواء أو يقلب التراب إلى ذهب على الحقيقة لبطل التصديق بمعجزات الأنبياء والتبس الحق بالباطل فلا يعرف النبى من الساحر لأنه لا فرق بين معجزات الأنبياء وفعل السحرة وأنه جميعه من نوع واحد .

ويجاب على الدليل العقلى الذى استدل به المعتزلة ومن وافقهم فى إنكار أن للسحر حقيقة وتأثير ببيان الفرق بين المعجزة والسحر فببيان الفرق بينهما يتضح أن زعم القائلين بأن السحر ليس له حقيقة أو تأثير لأنه سيؤدى إلى إختلاط السحر بالمعجزة باطل لا أساس له من الصحة ويمكن إيجاز الفرق بين السحر والمعجزة فيما يأتى :

أن المعجزة بحدودها وشروطها يمتنع ظهورها على يد الكاذب بل أنها تخالف السحر فى حقيقته وماهيتها الذى قد يظهر على يد المتنبى الكذاب ويمكن إجمال الفرق بين السحر والمعجزة فيما يأتى :

---

(١) فتح البارى حـ٢١ صـ ٣٥٢

أولا : المعجزة تكون من فعل الله تعالى وبإنجازه ، وأما السحر فيقع بفعل الساحر ومباشرة أسبابه .

ونقصد من هذا أن المعجزة تخالف السحر فى مصدرها فهى واقعة من الجانب الالهى مباشرة وليس للنبى أى مدخل اللهم إلا الطلب والدعاء قال تعالى : « وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله »(١) .

وقال تعالى « قل إنما الآيات من عند الله »(٢) .

وكثيراً ما كان المشركون يقترحون على النبى ﷺ أن يأتى بغير القرآن أو يبدله ، فيرد عليهم أن ذلك ليس من شأنه وليس فى مقدوره ، بل الله وحده هو الذى يتصرف فى الآيات بإيقاعها أو عدم إيقاعها .

قال تعالى : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى أن أتبع إلا ما يوحى إلى أنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم »(٣) .

فهذه حقيقة بينه فى المعجزة بخلاف السحر فإنه يقع بفعل الساحر وبمباشرة أسبابه السحرية سواء كان بالتقرب إلى الشياطين وطلب المعونة منهم فى إنجاز سحرة ، أم بواسطة خاصيات فى نفسه مع فعل أسباب من رق وعزائم وشعبذة وغير ذلك مما هو معروف لدى السحرة ، وبهذا يظهر شاسع البون بين المعجزة والسحر ، وكيف يقف أو يبارى ما كان من فعل الله تعالى وبإنجازه وبتأييده مع ما كان من فعـــل الساحر الكذاب بمباشرة أسبابه وتعاطى رذائله ، فالمعجزة من فعل الله مباشرة والسحر من فعل العبد كسبا .

ثانياً : المعجزة تكون خارقة للمادة بمعنى أنها تأتى مخالفة للقوانين

---

(١) سورة الرعد ٣٨ سورة غافر ٧٨
(٢) سورة العنكبوت ٥٠ . (٣) سورة يونس آية ١٥

الطبيعية وخواص المادة المألوفة فى الكون ، وأما السحر فلا يكون خارقاً للعادة الكونية المألوفة والمـــراد من هذا أن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون ورتبه ونظمه وأودعه سننا ثابتة لا تتغير ولا تتبدل إلا لمن سنها وفطرها فلا يقدر الخلق على تغير سنة الله الثابتة فى الكون ، فإذا أراد الله جلت قدرته أن يؤيد رسالة بالمعجزات جاءت مباشرة من غير إعتماد على تلك السنن والقوانين الطبيعية . فهى بالتالى خارقة لها ومن هنا صح تسميتها بخوارق العادات وإنما وقعت المعجزة على هذا الوجه الخارق لأنها بمثابة الشهادة على الدعوة فوجب أن تكون مخالفة للمألوف عند العباد، ولكن السحر لا يكون خارقاً بهذا المعنى . أى أنه لا يخرج عن قوانين الطبيعة وسنن الحياة ، فهو بالتالى أمر طبيعى لا يخرج عن مقدور العباد ، وإن كان قد يسمى خارقا للعادة فهو من باب التجوز لا الحقيقة .

يقول ابن تيمية : ولما كان الذين يعارضون آيات الأنبياء من السحرة والكهان لا يأتون بمثل آياتهم بل يكون بينهما شبه كشبه الشعر بالقرآن(١) .

ويقول الألوسى : والسحر فى الأصل مصدر سحر — يسحر — بفتح العين فيهما إذا أبدى ما يدق ويخفى ، ويستعمل فيما لطف وخفى سببه ، والمراد به أمر غريب يشبه الخارق وليس به ، وإذ يجرى فيه التعليم ويستعان فى تحصيله بالتقرب للشيطان بإرتكاب القبائح ، وبهذا يتضح لنا أن السحر ليس بخارق للعادة وإنما قد يشبه الخارق لإختفاء سببه ودقة مأخذه .

إذ لو كان خارقا لكان مساويا للمعجزة ، ولا أدى ذلك إلى إبطال دلالة المعجزة .

---

(١) انظر النبوات لإبن تيمية صـ ٢٢

ثالثا : المعجزة لاتنال بالكسب والتعلم وأما السحر فقد ينال بالكسب والتعلم . وبيان هذا أن المعجزة تخالف السحر فى طريق حصولها فلا تحصل المعجزة بالطلب أو الكسب أو الإحتيال والتعلم لأنها منحة الهية وهبة ربانية يظهرها الله تصديقاً لأنبيائه المرسلين فهى تقع على وجه قد لاتدركه العقول البشريه وهذا السر فى عدم دخولها فى أطار الكسب والتعلم لأن مالاتدركه العقول لا يمكن تحصيله بالتعلم ولا بغيره ، فكذلك لا يمكن وقوعه عن طريق العباد وهذا بخلاف الأمور السحرية فإنها قد تنال بالكسب والتعلم لأنها داخلة فى أفعال العباد ولها أسباب معروفة تدركها العقول وتستوعبها الأفهام لمن طلبهـا وسعى فى تحصيلها فهى بالتالى تعتبر فى تعداد الأسباب الكونية العاديه التى جرت العادة الآلهيه بترتيب مسبباتها على أسبابها .

يقول بن تيميه : وآيات الأنبياء لا يقدر أحد أن يتوصل إليها بسبب والسحر والكهانة مما يمكن التوصل إليه بسبب(١) .

فن أراد أتقانها سلك مسالك أهلهـــا واجتمع بعلميها فيحقق نتائجهم أو يتفوق عليهم ، فهى فنون تلزم روادها بالتفرغ والتعلم والمزاولة(٢) .

وبهذا نعلم أن كيفية حصول المعجزة تحار فيها العقول وتكل عنها الأفهام، فهى إذا بعيدة المنال بطرق الكسب والإحتيال وأما السحر فهو غريب المأخذ سهل المنال لأن أسبابه معروفة وطرقه مفهومة وليس فيه أعجاز للعقول وأن عجزت عنه بعض العقول فلا تعجز عنه جميعها .

رابعاً : المعجزة قابلة للبقاء أمداً طويلا وأما السحر فهو سريع الزوال وبيان ذلك أن المعجزة لما كانت بانجـــاز الله وتأييده وفى دائرة عرفه

---

(١) أنظر النبوات لابن تيميه ص ٢٩٦

(٢) أنظر المعجزة الخالدة لحسن ضياء الدين ص ٤٥

وسلطانه عز وجل كانت قابلة للبقاء حسب إرادته ومشيئته تعالى وهو الذى تفرد بالبقاء المطلق وله الخلق والإختيار ، فلا يبعد إذا أن تكون المعجزة قابلة للبقاء على مر العصور بدون تغيير ولا تبديل ، وهذا ما يناقض السحر فإنه يستحيل عليه البقاء لأنه تأييد القابل للفناء وكيف يعطى غيره البقاء وهو لا يملكه لنفسه .

يقول الشعرانى : فإن قلت ... فما الفرق بين المعجزة والسحر والشعبذة (فالجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر رحمه الله أن الفرق بين المعجزة والسحر ونحوه أن المعجزة تبقى هى أو أثرها بعد النبى زمانا والسحر سريع الزوال(١) .

وإن كان فى كلام الشعرانى ما يوهم أن ذلك فى كل معجزة إلا أنا لم نقل بهذا بل قلنا أنها قابلة للبقاء لا واقعة فى كل معجزة ، والمثال على ذلك هو المعجزة القرآنية .

خامساً : أن المعجزة تزداد وضوحا وجلالا مع الإشتهار ، وأما السحر فبالاشتهار ينكشف زيفه ويزداد وباله ، وبيان ذلك أن المعجزة لما كانت بإذن الله وبتأييده كانت مستنيرة بنور الله تعالى فكلما ظهرت للعباد وانكشفت أسرارها أزدادت وضوحاً وبياناً وجمالا لما يتجلى عليها من النور الإلهى وهذا ما يناقض السحر فإنه لما كان يستمد ظلامة من ظلام الساحر كان كلما ظهر ازداد ظلاماً وبطلانا وقبحا .

وبهذه الفوارق تتجلى لنا مكانة المعجزة من السحر وأن السحر بجانب المعجزة شيء سخيف وهزيل لا يشبهها على وجه الحقيقة فى شيء ، وقد اعترف بذلك علماء السحر ورواده لما شاهدوه بجانب السحر وأيقنوا أن

---

(١) انظر اليواقيت والجواهر للشعرانى جـ ١ ص ١٦١